الهائمة على وجهها في الليل فما كان الا كلمح البرق حتى سمعت دوي طلقين ناريين ثم رأيت شبحاً ابيض سقط امامي وهو يصرخ الله اكبر ان الزعيم الذي كان محسناً الى العمياء قد نجا وعائشة تموت فرحة مسرورة فدى عنه فاقبلت عليها مسرعاً لارى حالها فما لبثت ان فاضت روحها صاعدة الى خالقها والظاهر انها كانت درت في المعسكر بالفخ الذي كانوا نصبوه لي فتبعتني وراقبتني الى ان افندتني بحياتها . وبعد ذلك دفناها الى جانب امها في ضريح كتبنا عليه (هذا ضريح من قضت شهيدة مكارم الاخلاق)

أنيس المجلس

﴿ الجزء الثالث — السنة الخامسة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ الموافق ٢١ ذي الحجة سنة ١٣١٩ ﴾

فردوس المرأة

ما برح الناس منذ القديم وهم يدعون ان الدنيا نعيم المرأة وجحيم الرجل وذلك لما يبدو في ظاهر الامر من تعرض الرجال لجسيمات الاعمال دون النساء ومباشرتهم وحدهم اكثر اشغال الحياة الشاقة ذلك فضلا عن تحملهم اعباء النساء ومدافعتهم عنهن واحتمالهم تبعات ما يصدر منهن من الذنوب والجرائم وبذلك كانت المرأة في اعتبارهم بحكم الولد الصغير له نعيم الدنيا وهناؤها ولوالديه كدرها وشقاؤها . ولكن الحقيقة ان المرء لو نظر الى الناس كلهم لوجد الرجل والمرأة فيها سيين فاذا كان الشقاء واقعاً على قبيلة منهم كانت المرأة مساوية فيه للرجل باحتمالها اياه وشعورها به واذا كان ثم من فرق يبدو بينهما فانما يجب ان يعتبر معه مقدار القدرة على الاحتمال لان الولد الصغير اذا كان يحتمل مثلاً عشر اقات فيتعب بها والرجل يحتمل خمسين اقة

فيتعب بها تعب الولد فلا يجب ان يعتبر في هذه الحال مقدار المحمول بل مقدار ما كان له من التأثير بالحامل . ولعل الذين ميزوا بين المرأة والرجل وقالوا ان الدنيا نعيمها وجحيمه قد فاتهم هذا الاعتبار حتى اعتقدوا بصحة دعواهم مع انهم لو تنبهوا اليه لوجدوا الحال سواء بين الفريقين وعلموا ان الطبيعة لا تسمح بشيء ان يذهب مجاناً بل هي لا تبلي بشيء حتى تعين على شيء ولا تعطي قوة من جهة حتى تسلب مثلها من جهة

الا ان كون الدنيا نعيم المرأة وجحيم الرجل اذا كان لا يصح ان يطلق على الناس بعمومهم لانه مما يقرض نوعهم على التوالي فانه قد يصح ان يطلق على بعض الناس فيما سنوه من شرائع والفوه من عادات كما بينا في مقالة سابقة عن امتيازات المرأة بأنكلترا ولكنه ربما لا يصح لو اعتبرت كل حالات الانسان ونظر فيها الى التفاوت في مقادير الاحتمال والشعور كما اشرنا

ولقد نشر احد الكتاب فصلا بعنوان مقاننا هذا بعد ان بحث في احوال الناس وزار بعض اقسام الدنيا فذكر فيه انه اذا كانت الدنيا فردوساً للمرأة فلا تكون الدنيا الا الولايات المتحدة الاميركية ولا تكون ملائكتها الا نساؤها وذلك لانه شهد النساء في تلك البلاد كثيرات الادلال والتيه على الرجال فان الرجل هناك لا يتعين عليه الا ان يشقى ويكد لاسعاد المرأة واراحتها حتى كأنها في منزل اسرتها غلام وحيد لا همّ لاهله الا رضاه ومسرته فهو يصنع ما يصنع من ذنوب ثم يصفح عنه بل تعد ذنوبه حسنات ولذلك ترى المرأة في تلك البلاد مطلقة الحرية من كل وجه تذهب اني شاءت وتتعلم ما تريد لا يعارضها في مشيئتها معارض ولا يمنعها دون قصدها مانع ثم هي محترمة مع ذلك الى آخر الاحترام وأذا رزقها الله

شيئاً من جمال او ذكاء فانها تكون في حد المعبود ولذلك حدثوا من ايام ان فتاة قد ابدع فيها الحسن قتلت خطيبها لخيانته اياها وكانت في نيويورك حيث يحكم على القاتل بالقتل فشق على تلك البلاد ان يزول منها ذاك الجمال الرائع وقرر اهلها ان يستشفعوا بالامير هنري شقيق امبراطور المانيا حين زار نيويورك ليكون وسيطاً في اطلاقها ولعلهم يكونون قد نجحوا ما دام للمرأة عندهم هذه المنزلة السامية

ثم ان شرائع تلك البلاد رحيمة للمرأة الى ما يميزها كثيراً عن الرجل ولا سيما في حقوق التوظف والطلاق والامتلاك . فاذا صدق هذا الوصف عن نساء الولايات المتحدة فهي دون ريب فردوس المرأة ولكن هذه الحالة قد لا تطول كثيراً لان شرائع الطبيعة لا تسمح بها الى النهاية

اما فرنسا التي قيل عن باريزها انها فردوس النساء وجحيم الخيل لكثرة لهو نسائها وشقاء خيولها في جر المركبات فانها تعد ثانية الولايات المتحدة في هذا الشأن لان النساء قد نلن فيها من الحرية والحقوق ما جعلها في نعيم بالقياس الى جارتها المرأة الايطالية فانهم يذكرون عن ايطاليا — ولعلهم يريدون بعضها — ان المرأة بها في نهاية الذل والشقاء ولا سيما المرأة الفلاحة فانهم يقولون عنها انها اشبه هناك بالحيوان لان زوجها لا يرى شيئاً يستطيع تكليفها اياه الا ويكون قد القاه اليها وأنطلق الى تدخين سيكارته متحدثاً بالسياسة حتى روي عن نساء الاكابر فيها انهن يعاملن احياناً بمثل هذه المعاملة

اما البلاد الروسية فيقال انها جحيم للمرأة على خلاف اختها الاميركية فان المرأة فيها تكاد تكون مستعبدة من الرجل فهي ليس لها شيء من

الامتيازات والحقوق التي ينالها غيرها من نساء اوربا حتى ان ضربها هناك شائع مألوف لا يتنبه الى فظاعته احد ولا يرى بالامر الغريب . ويقال ان الحكومة تتداخل احياناً فيما يوجب اذلال المرأة اذا حاولت شيئاً من نيل الحقوق . ولكن هذا مما يكون مبالغاً فيه الا في بعض اقسام روسيا التي لا تزال متبدية الى الان شأن غيرها من اقسام اوربا حتى ارقاها واجلها كانكلترا وفرنسا

اما انكلترا فقد ذكرنا شيئاً عن نسائها وامتيازاتهن فيما تقدم ولذلك فهي تكاد توصف بما توصف به المرأة الاميركانية ولكن يظهر ان نساء انكلترا اكثر نساء العالم راحة من حيث الاشغال البدنية الشاقة فاننا رأينا في الشهر الماضي رسالة برقية واردة من اوستراليا الى احدى الصحائف الانكليزية يذكر بها مرسلها انه شوهد في احدى قرى تلك القارة امرأة ممسكة بيد المحراث وهي تحرث الارض وزوجها متكىء الى جذع شجرة يدخن . ولقد عد المراسل هذه الحالة من غرائب الحالات في بلاد متمدنة اذ انها لو كانت موجودة في انكلترا لما تكلف اخبار اهلها بها

اما سائر نساء اوربا فقد انزلهن الكاتب في منازل مختلفة بين الفردوس والجحيم والمطهر حتى وصل الى المرأة العثمانية فقال ان اشتهار امرها بالذل مما يغني عن ذكرها ولذلك لا يقول عنها شيئاً وهو قول نراه الان يبتعد كثيراً عن مواطن الصواب ولقد كان صحيحاً منذ خمسين سنة واكثر واما في هذا العهد فقد اختلفت حالها عن القديم كل الاختلاف فصارت تعلم وتهذب وتطلق لها حرية القول والعمل في كل ما يفيد ولهذا صرنا نسمع عن بعض نساء البلاد العثمانية ولا سيما التركيات انهن قد بلغن مبلغاً من العلم لا يكاد يصدق

مع قرب عهدهن بالتعلم فصار منهن الكاتبات والشاعرات وصاحبات المجلات ولقد عرفنا بعضهن فاذا هن في ارفع منزلة من الفضل والادب ولهذا لا يصح للمؤرخ الصادق ان يقول ان البلاد العثمانية الان جحيم للنساء بل هي اذا كانت كذلك فانما تكون من حيث نساء القرى والمزارع وهو ما قلنا انه موجود في اجل الممالك

ولقد اغفل الكاتب ذكر مصر فلم يشر الى نسائها بشيء مع انه كان يفتش عن جحيم النساء الحقيقي وهو لو تنبه الى مصر لوجده فيها من جهة اغلبية نسائها فان المرأة في هذه البلاد تقاسم الرجل اشق اعماله واكثرها ارهاقاً وقد طالما رأيناها حارثة في الحقول بائعة في الاسواق جارّة للاثقال محرومة من كل امتياز وحق حتى كتبت عليها الطاعة في كل شيء ولو كانت هذه الحالة مختصة بنساء المزارع والقرى لقلنا انها كغيرها من فلاحات نساء الممالك المتمدنة ولكن تلك الحالة تكاد تكون عامة لثلاثة ارباع النساء او اكثر وحاصلة في المدن العظمى كالقرى الصغرى . والذي يتفقد شؤون النساء في مصر وما ينالهن من مظالم الطلاق فقط وجور الرجال عليهن في النفقة وعجز المحاكم الشرعية عن ضبط هذه الحالة لكثرة المصابين بها يتبين له ان مصر جحيم النساء وان كل شقاء ينال المرأة في سائر الدنيا ينال منه نساء مصر اوفر نصيب